مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

توجيه الطبري للمشكل الذهني الوارد على الآيات القرآنية وموقف المفسرين منه

د.عقيل بن سالم الشمري

الأستاذ المساعد للقرآن وعلومه بجامعة المجمعة – كلية التربية بالزلفي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد يسر الله أسباباً لحفظ كتابه ، ومن هذه الأسباب أن سخر أهل العلم الراسخين فيه لبيان معانيه وتسهيل تدبره وفي مقدمة أولئك إمام المفسرين الإمام الطبري رحمه الله ، ولفورة إبداعه العلمي فإنه كثيراً ما يثير أسئلة عن سبب ورود بعض الألفاظ القرآنية .

وتتلخص أهداف البحث : في توجيه الطبري للأسئلة الذهنية الواردة على بعض الألفاظ والآيات القرآنية مما أثارته ذهنية الطبري رحمه الله .

واستخدمت المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كلام الطبري رحمه الله ومِن ثَمَّ مقارنة غيره به لمعرفة موقف المفسرين من تلك الأسئلة الذهنية .

وكان من النتائج التي توصلت لها بحمد الله : أن طلب توجيه الأسئلة الذهنية مما خفي سبب وروده من ألفاظ القرآن من أبواب التدبر ، كما تبين لنا عمق الطبري في إجاباته على الاشكالات التي يذكرها .

وأختم البحث بالتوصية بدراسة موضوع توجيهات المفسرين للأسئلة الذهنية التي يثيرونها على الآيات القرآنية ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الكلمات المفتاحية : توجيه – أسئلة – ذهنية – موقف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

د.عقيل بن سالم الشمري

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وبعد:

فإن الله جعل كتابه هدى وبينات للعالمين، وأمر بتدبر آياته وتَعَقُّلِ معانيها والعمل بها، ولا تزال الأمة بخير ما سارت على ذلك، ولم يأل المفسرون – جزاهم الله خيرًا – في بيان معاني القرآن وإزالة كل ما يمكن أن يكون حاجبًا عن فهم المعنى، وعلى رأسهم إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، رحمه الله، فقد خدم الآية القرآنية ببيان غريبها وتوضيح معناها حتى يقرب فهمها للقارئ، وكان أحيانًا يثير أسئلة قد تطرأ في ذهن القارئ عن سبب ورود لفظة معينة، فلا يتجاوزها حتى يذكر السؤال التالية: (ما وجه) ومن ذلك ما يلي:

تساءل الطبري عن وجه قول الملائكة فيما قاله الله عنها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ **البقرة: ٣٠**، وكيف عرفت ذلك وآدم لم يخلق؟

وكذلك وجه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ **البقرة: ٧٩**، فما وجه ذكر اليد، وَهَلْ تَكُونُ الْكِتَابَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ حَتَّى احْتَاجَ الْمُخَاطَبُ أَنْ يُخْبِرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ؟

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ **الأنعام:٣٨**. حيث تساءل الطبري عن وجه ذكر الطيران بالجناح، مع أنه مامن طائر إلا ويطير بجناحيه.

وتساءل الطبري عن وجه قول سليمان فيما قاله الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ **ص:٣٥**، فمَا وَجْهُ رَغْبَةِ سُلَيْمَانَ إِلَى رَبِّهِ فِي الْمُلْكِ وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؟ وَمَا كَانَ يَضُرُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ بَعْدَهُ يُؤْتَى مِثْلَ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وغير ذلك من الأسئلة التي تتعلق بما خفي سبب وروده في الآية، فرأيت مناسبة جمع هذه الأسئلة والبحث فيها من خلال ما يلي:

موضوع البحث:

البحث يتناول بعض توجيهات الإمام الطبري لما خَفي سبب ذكره من الألفاظ والآيات القرآنية في تفسيره مما للمفسرين موقف من إثارة سؤاله إما موافقة أو تعقيباً ، فيخرج بذلك الأسئلة التي أثارها الطبري ولم يتعرض لها المفسرون غالباً في كتبهم .

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث لبيان المسائل التالية:

١. ما تعريف المشكل عند علماء التفسير؟ وما علاقته بما خفي سبب وروده في الآية؟

٢. ما الألفاظ والآيات التي أشكلت على الإمام الطبري في تفسيره؟

٣. ما توجيه الطبري لتلك النماذج؟

٤. ما موقف المفسرين من توجيه الطبري لما استشكله من الألفاظ والآيات؟

حدود البحث:

يتناول البحث مختارات لما طلب الطبري توجيهه مما استَشْكل سبب وروده من الألفاظ والآيات القرآنية التي خفي سبب ورودها؛ فيخرج بذلك ما طلب الطبري توجيهه مما يتعلق بالإعراب والأحكام الفقهية وغيرها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

أهداف البحث:

يهدف البحث لتحقيق الأمور التالية:

١. إيضاح معنى المشكل عند علماء التفسير.

٢. الخروج برؤية واضحة عن استشكالات الطبري لألفاظ الآيات.

٣. استكشاف مواقف المفسرين من توجيهات الطبري لما خفي سبب وروده في الآية. **منهج البحث:**

سأستخدم المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كلام الطبري، رحمه الله، ومِن ثَمَّ مقارنة غيره به للوصول للنتائج المرجوة من أهداف البحث، واعتمدت في التوثيق على المنهج المعتمَد في قواعد نشر المجلة .

خطة البحث:

قسمت البحث إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: ترجمة الإمام الطبري.

المبحث الثاني: المشكل وما خفي سبب وروده.

المبحث الثالث: النماذج التي طلب الطبري توجيهها.

المبحث الرابع: توجيه الطبري لِما خفي سبب وروده من ألفاظ القرآن.

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله أن يرحم علماءنا وأن يجزيهم خير الجزاء على ما قاموا به من عمل وجهد لتوضيح القرآن وإزالة كل ما من شأنه أن يحول بيننا وبين فهمه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

تمهيد

ترجمة الإمام الطبري

سأتناول شخصيته من خلال النقاط التالية:

١. نسبه

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب. وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من أهل الأنساب(١).

٢– الحالة السياسية والعلمية في عصره

أدرك الطبري عصر الدولة العباسية الذهبي وعصر نفوذ الأتراك وذلك في عهد المتوكل الذي تولى من عام ٢٣٢هـ وحتى عام ٢٤٧هـ ، وعهد المنتصر عام ٢٤٧هـ وحتى ٢٤٨هـ ، والمستعين حتى عام ٢٥٢هـ ، وعهد المعتز حتى عام ٢٥٥هـ ، ثم المهتدي حتى عام ٢٥٦هـ ، ثم المعتمد حتى عام ٢٧٩هـ ، ثم عهد المقتصد إلى عام ٢٨٩هـ ، ثم المكتفي حتى عام ٢٩٥هـ ، وأخيراً المقتدر حتى عام ٣٢٠هـ . أما الحياة العلمية في عهد الطبري فهي حياة حافلة بالتصنيف والرواية، فيها دونت أهم أقوال المذاهب الأربعة، وفيها ازدهرت العلوم في فنون العلم الشرعي(٢).

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٣٢/٣) ،

(٢) انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية» (ص٢٢٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

٣- شـــيوخه وتلاميذه: من أبرز شـــيوخه: هناد بن الســـري[٣] وأحمد بن منيع البغوي [٤] ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشـوارب[٥]. ومن تلاميذه: القاضـي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف [٦] وأبو إسـحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري[٧] وأبو الفرج المعافَى بن زكريا النهرواني[٨].

٥. مكانته العملية

رحل الطبري من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشـــرة ســـنة؛ فلم يزل طالبًا للعلم مولَعًا به إلى أن مات، فقيهًا عالِمًا بالسنن وطرقها [٩]، ونقل الخطيب البغدادي نقلًا حول سعة اطلاعه في التفسير[١٠]، وتوفي الإمام الطبري في بغداد سنة ٣١٠ هـ وعمره ست وثمانون سنة[١١].

(٣) الإمام الحافظ الزاهد لقيه ابن جرير بالكوفة وروى عنه ، توفي سنة (٢٤٣هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٥/١١).

(٤) البغدادي الحافظ الثقة الثبت ، وقد روى عنه ابن جرير حينما فاته الرواية عن الإمام أحمد ، وتوفي سنة (٢٤٤هـ) . انظر : المصدر السابق (٤٨٣/١١).

(٥) الإمام الحافظ المتفنن ، لقيه ابن جرير بالبصرة وروى عنه ، وتوفي سنة (٢٤٤هـ) . انظر : المصدر السابق (١٠٣/١١).

(٦) قاضي الكوفة وإمامها ، وقد روى عن الحموي حينما ترجم لابن جرير الطبري ، انظر : المصدر السابق (٥٤٤/١٥).

(٧) الأديب العالم الحافظ ، وله كتاب في التاريخ ترجم فيه لشيخه الطبري ، وله كتاب الرسالة . انظر: الفهرست (ص٣٢٨).

(٨) المعروف بابن طرَّار ، وهو من أكثر الملازمين للطبري ، وروى عنه في التفسير والفقه الشيء الكثير ، وتوفي سنة (٣٩٠هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١٦).

(٩) انظر: تاريخ بغداد (١٦٣/٢).

(١٠) انظر: المصدر السابق.

(١١) انظر: المصدر السابق (١٢٦/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

المبحث الأول:المشكِل وما خفي سبب وروده

تعريف المشْكِل في اللغة:

المشْكِل: اسم فاعل، مِنْ أشْكَلَ يُشْكِلُ فهو مُشْكِلٌ.

والمعنى اللغوي للمُشْكِل يدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة[١٢].

يُقال: حرف مُشْكِلٌ، أي: مُشْتَبِهٌ مُلتبسٌ، وأمورٌ أشكال، أي: ملتبسة[١٣].

تعريف المشكل اصطلاحًا:

قيل فيه: هو اسم لما يشتبه المراد منه، بدخوله في أشكاله على وجهٍ لا يُعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال[١٤].

وقيل: هو ما ازداد خفاءً على الخفي، كأنه بعدما خفي على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله، حتى لا يُنال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمل، حتى يتميز عن أمثاله[١٥].

فنلحظ أن دائرة المشكل عند العلماء تتسع ليدخل فيها عدة أنواع منها:

ما يوهم التعارض، ما لا يُعلم معناه، ما يخالف ظاهره قاعدة شرعية معتبرة[١٦].

---

(١٢) انظر : معجم مقاييس اللّغة، لابن فارس (٣/ ٢٠٤) .
(١٣) انظر : وتهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٢٥) ، ولسان العرب، لابن منظور (١١/ ٣٥٧)، والمصباح المنير، للفيومي، ص (٣٢١) .
(١٤) انظر : أصول السرخسي ١٨٦/١ .
(١٥) انظر : موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ، ص١٤٢٨ .
(١٦) انظر : الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم ، ص٢٣ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وبين المشكل والمجمل فرق يسير إذ إن المجمل لا يُعرف المراد منه إلا بالاستفصال مِن الْـمُجمِل، بينما المشكل يعرف المراد منه بالتأمل والنظر والاطلاع[١٧] .

والكلام في بحثي مقتصـرٌ على ما خفي سـبب ذكره من اللفظ أو الآية؛ إذ إن الطبري رحمه الله يذكر في تفسـيره عددًا من الأسـئلة الذهنية التي قد ترد على بعض الآيات القرآنية ويجيب عليها، وقد وجدت أن الطبري يشـكل عليه مما خفي سـبب وردوه أحد أمرين:

١ـــ **إما سبب ورود لفظة معينة في الآية،** كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ فتساءل عن سبب ورود اليد مع أن الكتابة لا تكون إلا بها.

٢. **أو سبب ورود آية معينة،** كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾فتساءل الطبري عن سبب ورود هذه الآية والفتيان ينتظران تعبير رؤياهما.

وما يثيره الطبري من إشـكالات على ألفاظ الآيات من البداهة أن الأذهان تختلف في إثارتها لذات السـؤال من عدمه، فبعض الأسئلة التي يوردها الطبري نجد أن عامة أهل التفسير يذكرونها ويحاولون الإجابة عنها ، كقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ فغالب كتب التفسير تذكر ذات السؤال الذي أثاره الطبري وتختلف في الإجابة عليه حسب اجتهاد المفسر[١٨].

ومن هذه الأسـئلة التي يذكرها الطبري ما لا يطرأ على الذهن لوضـوح المعنى، كقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ **طه: ١٢٥**، فقد قال الطبري: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ هَذَا لِرَبِّهِ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ مَعَ مُعَايَنَتِهِ عَظِيمَ سُـلْطَانِهِ! أَجَهِلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا شَاءَ أَمْ مَا وَجْهُ ذَلِكَ؟»[١٩].

(١٧) المصدر السابق ، ص٢٠ .
(١٨) سيأتي هذا الأنموذج داخل ثنايا البحث .
(١٩) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠٢/١٦ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

فما ذكره الطبري ليس في مستوى السؤال السابق الذي أثاره، ولهذا أعرض عن هذا الإشكال أغلب المفسرين، وهذا يدل على أن إشكال الأمر نسبيٌّ يختلف من شخص لآخر، وأحياناً يقع بعض المفسرين في افتعال بعض الإشكاليات ليجيبوا عنها .

العلاقة بين ما خفي سبب وروده في الآية والمشكِل:

كثيرًا ما يتعرض المفسرون في كتبهم لمسألة سبب ورود لفظة معينة في القرآن، ثم يطلبون توجيهها، فهل هذا هو المشكل المنصوص عليه في كتب علوم القرآن أم لا؟

وما يجعلني أتساءل هو أن اللفظة التي يطلب المفسرون سبب ورودها في الآية ليست مُشكِلَةً في ذاتها من حيث المعنى، وليست متعارضة مع غيرها فيطلب الجمع بينهما، ولكن يحاول المفسر أن يجتهد في سبب ورودها.

والذي يظهر لي أن المشْكِل عند علماء التفسير يتجه لعدة أنواع هي[٢٠]:

١. ما يوهم ظاهرها التعارض.

٢. ما عارض قطعياً غيره من حديث أو آية أو قاعدة شرعية.

٣. ما خفي معناه.

وما بين يدي من البحث مما ذكره الطبري بعضه يدخل في النوع الثاني، فمثلًا:

قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ فهذا القيد يعارض آياتٍ قرآنية وقاعدة شرعية متفقاً عليها، وهي أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وقد حكم الله بذلك، فظاهر قيد المشيئة في الآية معارضة المتقرر في أدلة شرعية أخرى.

وأكثرها لا يدخل في هذه الأنواع؛ ومع هذا استشكلها الطبري وأجاب عنها، وهذا يؤكد أن مشكل القرآن يضاف لأنواعه السابقة: ما يورده المفسر من أسئلة قامت في ذهن المفسر حين مطالعة الآية فأورد عليها سؤالاً ما لم يكن ذلك متكلفاً.

---

(٢٠) انظر : الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن ، ص٢٥ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

المبحث الثاني: النماذج التي طلب الطبري توجيهها

أورد في هذا المبحث بعض أمثلة النماذج التي أشكل على الإمام الطبري سبب ورودها مما جعله يبحث لها عن إجابات، ومنها:

الأنموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

تساءل الإمام الطبري رحمه الله عن وجه سؤال الملائكة لربها بقولها: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ولم يكن آدم مخلوقًا ولا ذريته؟

فقال رحمه الله: «إن قال لنا قائل: وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ولم يكن آدمُ بعد مخلوقًا ولا ذُرّيته فيعلموا ما يفعلونَ عيانًا؟ أعلمتِ الغيبَ فقالت ذلك، أم قالت ما قالت من ذلك ظنًّا؟ فذلك شهادة منها بالظنّ وقولٌ بما لا تعلم، وذلك ليس من صفتها، أمْ ما وجه قيلها ذلك لربها؟»[٢١].

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

(٢١) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ٤٨٢/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

قال الطبري موجهًا ذكر لفظ اليد في الكتابة مع أن الكتابة لا تكون بغير اليد: «إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: مَا وَجْهُ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ؟ وَهَلْ تَكُونُ الْكِتَابَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ حَتَّى احْتَاجَ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ إِلَى أَنْ يُخْبِرُوا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ؟»(٢٢).

الأنموذج الثالث:

قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨.

قال الطبري متسائلًا عن سبب ذكر الطيران بالجناح مع أن ذلك معروف بداهة، فقال: «فإن قال قائل: فما وجهُ قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟»[٢٣].

الأنموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام:٩٣.

قال الطبري متسائلًا عن سبب أمر الله للكافرين بإخراج أنفسهم في قول الله: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ مع أن الله هو الذي يخرج الأرواح من الأبدان، فقال: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ وَنُفُوسُ بَنِي دَمَ إِنَّمَا

(٢٢) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ١٦٨/٢ .
(٢٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٤٩/١١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

يُخْرِجُهَا مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَكَيْفَ خُوطِبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ وَأُمِرُوا فِي حَالِ الْمَوْتِ بِإِخْرَاجِ أَنْفُسِهِمْ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَنُو آدَمَ هُمْ يَقْبِضُونَ أَنْفُسَ أَجْسَامِهِمْ؟»(٢٤).

الأنموذج الخامس:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾يوسف:٣٧.

أثار الطبري سؤالًا حول هذه الآية؛ إذ إنها جاءت بعدما طلب الفتيان تعبير منامها، مع أن هذه الآية ليست جوابًا على ذلك، فما وجه هذه الآية الكريمة، فقال: «فإن قال قائل: ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف؟ وأين جوابه الفَتَيَيْنِ عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام؟»[٢٥].

الأنموذج السادس:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ص:٣٥.

قال الطبري رحمه الله متسائلًا عن سبب قول سليمان عليه السلام هذا الطلب: «إِنَّ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ رَغْبَةِ سُلَيْمَانَ إِلَى رَبِّهِ فِي الْمُلْكِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا يَرْغَبُ فِي الْمُلْكِ أَهْلُ الدُّنْيَا الْمُؤْثِرُونَ لَهَا عَلَى الْآخِرَةِ؟ أَمْ مَا وَجْهُ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ إِذْ سَأَلَهُ ذَلِكَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَا كَانَ يَضُرُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ بَعْدَهُ يُؤْتَى مِثْلَ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ؟ أَكَانَ بِهِ بُخْلٌ بِذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ مُلْكِهِ يُعْطَى ذَلِكَ مَنْ يُعْطَاهُ، أَمْ حَسَدٌ لِلنَّاسِ، كَمَا ذُكِرَ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ قَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ ﴾ فَقَالَ: إِنْ كَانَ لَحَسُودًا! فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ»[٢٦].

---

(٢٤) انظر : جامع البيان عن آي القرآن ٤١٠/٩ .
(٢٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٢/١٦ .
(٢٦) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ١٠٣/٢٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

الأنموذج السابع:

قولـه تعـالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٤.

تســـاءل الإمام الطبري عن ســـبب تقييد عذاب المنافق بالمشـــيئة فقال: «إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ الشَّـــرْطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِن شَآءَ ﴾ وَالْمُنَافِقُ كَافِرٌ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَلَّا يَشَـــاءَ تَعْذِيبَ الْمُنَافِقِ، فَيُقَالُ: وَيُعَذِّبُهُ إِنْ شَاءَ؟»[٢٧].

ويتعين بعد ذكر هذه النماذج أن نطلع على توجيه الإمام الطبري ثم نقارنه بتوجيهات غيره من المفســـرين لنســـتكشـــف منهج الطبري في توجيه ما يُشكل ظاهره من ألفاظ القرآن الكريم.

المبحث الثالث: توجيه الطبري لِما خفي سبب وروده من ألفاظ وآيات القرآن

بعدما سبق ذكر بعض النماذج سأذكر توجيه الطبري لها، وهي مرتبة كالتالي:

الأنموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة:٣٠.

تســـاءل الإمام الطبري، رحمه الله، عن وجه ســـؤال الملائكة لربها بقولها: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ولم يكن آدم مخلوقًا ولا ذريته؟

(٢٧) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٨/١٩ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

فقال رحمه الله: «إن قال لنا قائل: وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ولم يكن آدمُ بعد مخلوقًا ولا ذُرّيته فيعلموا ما يفعلونَ عيانًا؟ أعلمتِ الغيبَ فقالت ذلك، أم قالت ما قالت من ذلك ظنًّا؟ فذلك شهادة منها بالظنّ وقولٌ بما لا تعلم - وذلك ليس من صفتها - أمْ ما وجه قَيْلِها ذلك لربها؟»[٢٨].

ثم أجاب الطبري رحمه الله وأسهب إسهابًا[٢٩]، ولطول كلامه فإني أختصره بالنقاط التالية[٣٠]:

١. ابتدأ جوابه بقوله: «قد قالت العلماء من أهل التأويل في ذلك أقوالًا» وهذا يدل على أن العلماء يتناولون ما يشكل ظاهره من الألفاظ القرآنية، كما يدل على أن اعتراض الملائكة مخدوم عند أهل العلم ومحرر فيلتمسه في مظانه من يريده، وتهيئة الله أهل العلم الذين يبينون ألفاظ القرآن هو من حفظ الله لكلامه.

٢. ذكر الطبري الرواية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما وملخصها:

أن إبليس كان من حيٍّ من أحياء الملائكة يُقال لهم «الجِنُّ» بالمهملة، وأن أول من سكن الأرض هم الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا دماء بعضهم البعض، فبعث الله إليهم إبليس والحي الذي هو منهم، فقاتلهم إبليس ونصره الله عليهم، فاغترَّ ودخل في قلبه كبرٌ، فقال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة الذين قاتلوا مع إبليس: كيف تجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن الذي بعثتنا لقتالهم!

(٢٨) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ٤٨٢/١ .

(٢٩) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن من ٤٨٢/١ إلى ٥٠١/١ فانتظم جوابه ثماني عشرة صفحة.

(٣٠) سأترك توثيق كل ما أنقله عن الطبري اختصاراً ، ولأني سأنتقي منه ما يهمني في بيان النقطة المذكورة، وكلامه واقع بين الصفحات التي ذكرتها قبل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

ففي هذه الرواية:

- أن الله قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لبعض الملائكة وليس لجميعهم.
- أن الذين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ هم قوم إبليس من الملائكة.
- أن مستندهم في القول هو أن الله بعثهم لقتال الجن حينما أفسدوا في الأرض، فمستندهم المشاهدة والقياس.
- أن الله قال لهم ذلك القول ابتلاءً واختبارًا لينظر إيمانهم بعدما انتصروا في معركتهم مع الجن، وليريهم ضعفهم، وأن كرامته ورفعته لا تنال بقوة الأجسام كما إبليس.

٣. ثم ذكر الطبري الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما، أيضًا، وملخصها:

أن الله لما فرغ من خلق ما يُحب جعل إبليس مَلِكًا على السماء الدنيا، وكان مع هذا خازنًا للجنة، فدخل في قلبه الكبر على ما آتاه الله، فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالت الملائكة: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ فقال الله: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا. قالت الملائكة: ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مما في قلب إبليس من الكبر.

ففي هذه الرواية :

- بيَّن الطبري رحمه الله أن في هذه الرواية ما يوافق الرواية المتقدمة وفيها ما يخالفها، وهذا النقد الموضوعي المبني على العدل والعلم.
- أن الله هو الذي أجاب الملائكة الذين سألوه: وما يكون ذلك الخليفة؟ فقال: يكون له ذرية يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا. وبهذا القدر تختلف هذه الرواية عن الرواية السابقة، حيث إن السابقة ليس فيها إخبار الله بذلك.
- لا وجه لتوبيخ الملائكة على قولها: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ما دام أن الله هو

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

الذي أعلمها بذلك، على هذه الرواية.

- وفيها خلل آخر، وهو أن قول الله لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، والملائكة إنما قالت ذلك بناء على قول الله لهم في نفس الرواية، فكأن معنى الآية: (إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله أنه كائنٌ فأخبرونا بالذي طُوي عنكم علمه) وهذا ما قال فيه الطبري: «خُلفٌ من التأويل ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة».
- ثم وجه الطبري رحمه الله الخلل السابق وقال: «وأخشى أن يكون بعض نَقَلة هذا الخبر هو الذي غَلِط على من رواه عنه من الصحابة» ثم وجهه التوجيه الصحيح بأن يحمل المعنى على: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العِلم بخبَري إياكم أنّ بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، حتى استجزتم أن تقولوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فيكون التوبيخ حينئذ واقعًا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم إنه يكون له ذرّية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن، فكأن الملائكة لما علمت جزءًا مما أعلمها الله ظنت أنها علمت كل شيء، فعممت ما أخبرها الله به، والله سبحانه إنما أخبرها ببعض ما يريد إخبارها به.
- والطبري بذلك يرسم منهج النقد العلمي الرصين بتخطئة الخطأ وتوجيهه ليتوافق مع دليله، فهو بارٌّ بالقائل المخطئ أكثر من القائل نفسه، وهذا كله يفعله مع أنه لا يختار هذه الرواية حيث قال: «وهذا الذي ذكرناه هو صفةٌ منا لتأويل الخبر، لا القول الذي نختاره في تأويل الآية».

٤ـ الرواية الثالثة عن قتادة، وملخصها: أن الله استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فعلى هذه الرواية يكون قول الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ مبنيٌّ على الظن، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

والمراد باستشارة الله للملائكة هي إخبار الملك لجنده بسؤالهم ليبين لهم علمه وقدرته، وهذا قريبًا مما قاله ابن كثير متعقبًا هذه الرواية فقال: «وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل»[٣١].

٥ـــ الرواية الرابعة عن قتادة أيضًا، وملخصها كالرواية السابقة، وفيها أن الله أعلم الملائكة بأنه إن كان في الأرض خلقٌ فإنهم سيفسدون فيها. ثم عدَّد الطبري عدة روايات أخرى تؤيد هذه الرواية عن قتادة.

٦ـــ ثم ذكر الطبري تأويلًا عن أهل العربية لقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وهو أن هذا القول من الملائكة ليس على وجه التعجب، وإنما على وجه الاسترشاد وطلب الجواب، فهو سؤال من ليس لديه علم ويبحث عن إجابة.

٧- رجَّح الطبري، رحمه الله، أن سؤال الملائكة سؤال استخبار لربها بمعنى: أعلمنا يا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها! وليس سؤال إنكار لما أعلمها ربها أنه فاعله سبحانه، واستدل الطبري بأنه لم يثبت ذلك من طريق يستحيل فيه الكذب والسهو والخطأ، وإنما استدلال الطبري في الآية نفسها بأن فيما ظهر دلالة على ما لم يظهر، فقوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يدل على ما لم يذكر، وهذا كثير في لغة العرب أن يذكر جزء من الأمر ويحذف الآخر اكتفاء بما ذكر.

وبهذا أجاب الطبري رحمه الله على سؤاله الذي ذكره أول تفسيره للآية: «إن قال لنا قائل: وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ولم يكن آدمُ بعد مخلوقًا ولا ذُرّيته، فيعلموا ما يفعلونَ عيانًا؟» فيكون الجواب بأن قول الملائكة مبنيٌّ على إخبار الله لهم استدلالًا بما ذكر من الآية، وأساليب العرب تدل على أن ما حُذف من الكلام يدل عليه ما ذُكر.

ولننظر الآن لما قاله علماء التفسير ونقارنه بما قرره الطبري.

---

(٣١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢١٧/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

أما الثعلبي فأخذ رواية من قال بأن الله أعلمهم بأنهم سيفسدون في الأرض، فيكون سؤال الملائكة مبنيًّا على إخبار الله لهم[٣٢]، وأغفل الروايات الأخرى التي لم تذكر إخبار الله لهم.

والسمعاني قال: «اطَّلَعوا عليه من اللوح المحفوظ»[٣٣] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[٣٤] وهذا قد يعضد ما اختاره السمعاني، إلا أن ذلك مبنيٌّ على القول بأن اللوح المحفوظ كان متاحًا للاطلاع لكل مَلَك، وهذا ما لا دليل عليه.

وأما البغوي فاقتصر على رواية وجود الجن في الأرض قبل آدم[٣٥]، وهي الرواية التي ذكرها الطبري وتعقبها كما سبق.

والمفسر الزمخشري جعل سؤال الملائكة للتعجب ثم قال: «تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير»[٣٦].

فجعل الحكمة هي فعل الخير وإرادته فقط، وهذا مذهب المعتزلة في نفي إرادة الشر عن الله[٣٧]، والله سبحانه يفعل ما يريد ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا يُسأَل عما يفعل.

وتعجب الملائكة، عند من قال به من أهل السنة، ليس منشؤه أن الله لا يريد إلا الخير، وإنما منشؤه التعجب الذي يورث لصاحبه ذلًّا واستكانة واعترافًا بلسان الحال لمن يخبره بكمال علمه.

ثم يكمل الزمخشري كلامه في سبب مقولة الملائكة فقال: «فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب؟ قلت: عرفوه بإخبار من الله، أو من جهة اللوح، أو ثبت في علمهم أنّ الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون،

(٣٢) انظر : الكشف والبيان ١/١٧٥ .
(٣٣) انظر : تفسير القرآن ١/٦٤ .
(٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣) .
(٣٥) انظر : معالم التنزيل ١/٧٩ .
(٣٦) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/١٢٤ .
(٣٧) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/٦٧ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم، أو قاسوا أحد الثَّقَلَين على الآخر، حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة»[٣٨].

فالزمخشري يرى أن الملائكة لم يعتمدوا على مجرد الظن، وإنما قالوا ما قالوا عن علم ودراية وتعدد احتمال مصدرهم، وكلام الزمخشري مجرد احتمالات، بغض النظر عن قوتها إلا أن الملائكة خلق نورانيون اصطفاهم الله وقد روضتهم العبادة، ولهم من الصفاء والمعرفة ما ليس لغيرهم ممن ابتُلِيَ بمكدِّرات الصفو من شهوات أو شبهات، ومن كان كذلك فحريٌّ أن يكون إصابة قوله أكثر من غيره.

وأما ابن عطية فلم يزد على الاحتمالات التي ذكرها الطبري، إلا أنه جزم أن قول الملائكة لا يكون إلا عن طريق نبأ وعلم[٣٩].

والقرطبي في هذه المسألة ذكر أقوالًا؛ منها : «أنهم لَمَّا سَمِعُوا لَفْظَ خَلِيفَةٍ فَهِمُوا أَنَّ فِي بَنِي آدَمَ مَنْ يُفْسِدُ، إِذِ الْخَلِيفَةُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الْإِصْلَاحُ وَتَرْكُ الْفَسَادِ، لَكِنْ عَمَّمُوا الْحُكْمَ عَلَى الْجَمِيعِ بِالْمَعْصِيَةِ، فَبَيَّنَ الرَّبُّ تَعَالَى أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُفْسِدُ وَمَنْ لَا يُفْسِد».

ووصف القول هذا القول بكونه حسناً جدًّا ، وسبب استحسان القرطبي له «لِأَنَّ فِيهِ اسْتِخْرَاجَ الْعِلْمِ وَاسْتِنْبَاطَهُ مِنْ مُقْتَضَى الْأَلْفَاظِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْعُلَمَاء»[٤٠] ، وهي كذلك إلا أن الاستدلال بالآثار أرفع مقامًا.

(٣٨) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/١٢٥ .
(٣٩) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/١٦١ .
(٤٠) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٥ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

ومنها : ما جاء عن قتادة : كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خلقا أفسدوا وسفكوا الدماء ، فسألوا حين قال تعالى : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} أهو الذي أعلمهم أم غيره؟ وقال القرطبي عن هذا القول : بأنه حسن أيضاً، ثم قال: وما بين القولين حسنٌ أيضًا[٤١].

وما يلفت الانتباه تحسين القرطبي لجميع الأقوال؛ إذ إن هذا شأن الأقوال التي تتقارب في الاحتمال، ولا يوجد دليل يبطلها، فكلُ قول له وجه يبدو به حسنًا، وبعضها أحسن من بعض.

وأدون في نهاية هذا الأنموذج عددًا من الملحوظات، وهي:

١. كل التفاسير التي وقفتُ عليها ذكرت هذا التساؤل الذي أثاره الطبري رحمه الله.

٢. لم تخرج أقوال المفسرين في ذكر سبب قول الملائكة عن طريقتين في الاستدلال:

إما أقوال اعتمدت على الآثار الواردة في الباب على ضعفها مما ذكره الطبري.

أو اجتهادات من لفظ (خليفة) أو (طبيعة خلق الملائكة).

٣ــ لم تخرج إجابات المفسرين التي وقفت عليها عن إجابات الطبري إلا في النادر، وتميز الطبري، رحمه الله، بكونه ناقش الاجابات ووجهها، ورجح بناءً على مقتضى الدليل اللغوي وقد دعم استدلاله بالشواهد، مما يدل على عمقه وتبحره وكرمه في العلم رحمه الله.

٤ــ لا يمكن أن يكون قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ اعتراضًا على ربهم – وحاشاهم – وهم الذين لا يسبقونه بالقول، ولم يقل به إلا من شذَّ[٤٢]، وإنما سؤال الملائكة هو سؤال العابد المعترف لمعبوده بكمال العلم والحكمة والمدرك لقصر علمه أمام علم مولاه، وهذا من مقامات الإيمان اللائق بالملائكة.

(٤١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/١ .

(٤٢) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ٣٥/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

٥ــ كما لا يمكن أن يكون قول الملائكة مبنيًّا على شهوة إرادة الخلافة؛ إذ هم معصومون عن الشهوة، وإنما طلبوا الخلافة فيهم ليقام بحق الله على أكمل الأوجه، إذ لا يليق بمولاهم إلا أن يُسَبَّح بحمده ويُطَاع فلا يُعَصى، فطلبهم الخلافة لكمال عبوديتهم لله ومحبتهم أن يقام لله بحقه اللائق به، فصلوات الله وسلامه عليهم.

٦ــــ أكثر المفسرين على أن الملائكة إنما قالوا ذلك عن علم؛ فإن أُريد به علم اليقين فلم يأتِ دليل قاطع، إنما هي آثار ذكرها الطبري عن بعض الصحابة، وفيها مقال، كما بينه، رحمه الله، وإن أُريد بالعلم دليل يعتمدون عليه منافٍ للتخرُّص فهذا اللائق بالملائكة الكرام، وأهل العلم تداولوا الرأي في مستند الملائكة، كما سبق بيانه، وأُضيف عليه:

إذا كان البشر يستطيعون أحيانًا معرفة شيء وإدراك خصائصه بمجرد النظر فيه والتأمل وإعمال الفكر، وقراءة مادته ومعرفة خصائصها، وإذا كان الشيطان الرجيم نظر في آدم عليه السلام قبل نفخ الروح وطاف به فلما رآه أجوف قال: «إن الله خلق خلقًا لا يتمالك»[٤٣] والمراد أنه لا يملك نفسه عن الشهوات[٤٤] فكيف عرف الشيطان ذلك من مجرد الطواف بآدم! إلا بالنظر والتأمل والمقايسة، فمن كان أجوف فهو ضعيف محتاج لسد جوفه، مما يدل على أن ذلك من أشد حاجاته، فلا يملك نفسه عند شهوة نفسه لسد خَلَله، وقد أصاب الشيطان في هذا الظن مع ما عنده من نقص إيماني، فكيف يستغرب من معرفة الملائكة الكرام، وهم القريبون من الله، وقد شاهدوا خلق آدم، عليه السلام، وعرفوا خصائص خلقه، ومعلوم أن الفراسة تتعلق بالتقوى وتعمير الباطن بمحبة الله، والملائكة لها أكبر نصيب من ذلك؛ إذ هم بالله أعرف، فلا بد أن تصيب فراستهم وتقرب جدًّا من الحق.

وأختم بكلام رائع للعلامة ابن عاشور حيث قال: «ومجرد مشاهدة الملائكة لهذا المخلوق العجيب المراد جعله خليفة في الأرض كافٍ في إحاطتهم بما يشتمل عليه من عجائب الصفات على نحو ما سيظهر منها في الخارج؛ لأن مداركهم غاية في السمو لسلامتها من كدرات المادة، وإذا كان أفراد البشر يتفاوتون في الشعور بالخفيات، وفي توجه نورانية النفوس إلى

---

(٤٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦١١) .

(٤٤) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦٤/١٦ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

المعلومات، وفي التوسم والتفرس في الذوات بمقدار تفاوتهم في صفات النفس جبلية واكتسابية ولدنية التي أعلاها النبوة، فما ظنك بالنفوس الملكية البحتة!»[٤٥].

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ البقرة:٧٩.

قال الطبري موجهًا ذكر لفظ اليد في الكتابة، مع أن الكتابة لا تكون بغير اليد:

«إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: مَا وَجْهُ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾؟ وَهَلْ تَكُونُ الْكِتَابَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ حَتَّى احْتَاجَ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ إِلَى أَنْ يُخْبِرُوا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ؟

قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْكِتَابَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَدِ، فَإِنَّهُ قَدْ يُضَافُ الْكِتَابُ إِلَى غَيْرِ كَاتِبِهِ وَغَيْرِ الْمُتَوَلِّي رَسْمَ خَطِّهِ، فَيُقَالُ: كَتَبَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا، وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي كِتَابَتَهُ بِيَدِهِ غَيْرَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْكِتَابُ، إِذَا كَانَ الْكَاتِبُ كَتَبَهُ بِأَمْرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْكِتَابُ، فَأَعْلَمَ رَبُّنَا بِقَوْلِهِ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَلِي كِتَابَةَ الْكَذِبِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ بِأَيْدِيهِمْ، عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ وَعَمْدٍ لِلْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ تَنْحَلُهُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَكَذُّبًا عَلَى اللَّهِ وَافْتِرَاءً عَلَيْهِ، فَنَفَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أَنْ يَكُونَ وَلِيَ كِتَابَةَ ذَلِكَ بَعْضُ جُهَّالِهِمْ بِأَمْرِ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ: بَاعَنِي فُلَانٌ عَيْنَهُ كَذَا وَكَذَا، فَاشْتَرَى فُلَانٌ نَفْسَهُ كَذَا، يُرَادُ بِإِدْخَالِ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ فِي ذَلِكَ

(٤٥) انظر : التحرير والتنوير ١/٤٠٣ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

نَفْيُ اللَّبْسِ عَنْ سَامِعِهِ أَنْ يَكُونَ الْمُتَوَلِّي بَيْعَ ذَلِكَ وَشِرَاءَهُ غَيْرَ الْمَوْصُوفِ بِهِ بِأَمْرِهِ، وَيُوجِبُ حَقِيقَةَ الْفِعْلِ لِلْمُخْبِرِ عَنْهُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾»(٤٦).

تحليل كلام الطبري:

أثار الطبري رحمه الله سؤالًا عن سبب التنصيص بذكر الكتابة باليد، مع أن الكتابة لا تكون إلا بها، وسأستخلص من جوابه ما يلي:

١ـ أن المفسر عليه أن يبين ما يمكن أن يكون سؤالًا مثارًا في ذهنه أثناء قراءة القرآن، ولهذا أودع المفسرون في كتبهم أجوبة عن أسئلة ترد في الذهن، ولو لم يوجد شخص اعترض على الحقيقة.

٢. بين الطبري أن إضافة الكتاب إلى أيديهم ليبين الله أن علماء اليهود تولوا كتابة الكتاب المحرف بأنفسهم وعلى علم بالكذب والافتراء.

٣ـ بين الطبري أن إضافة الكتاب إلى الأيدي ليبين الله أن ذلك لم يكن على أيدي جهلائهم بأمرٍ من علمائهم، وهذا يدل على مكرهم وخبثهم في تحريف كتابهم.

وهذا التوجيه من الطبري يدل على علم الطبري بحقيقة صنع اليهود بكتابهم، حيث إنهم باشروا كتابته بأيديهم، حيث إن الفعل (كتب) عُدِّي بالباء، وهذا يدل على المباشرة الفعلية(٤٧). وفعل هؤلاء اليهود كان في كل حقب التاريخ ابتداء من تدوينهم التوراة فما بعد ذلك، ومعلوم أنه كلما تأخر الزمن عن فترة الوحي زاد الكذب والافتراء وصَعُب التحقق من الصدق فيلتبس الحق بالباطل، حتى جاء العهد اليهودي الذي عاصر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فكان من تحريفهم وكتابتهم الكتاب

(٤٦) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ١٦٨/٢ .
(٤٧) انظر : شرح العقيدة التدمرية ، ص١٧٤ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

بأيديهم أنهم يبدلون الكتاب قبل سؤال السائلين، فكان العالم من اليهود يحرف الجملة من التوراة التي فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إن جاء سائل قالوا له: هذا من عند الله(٤٨).

وفي هذه الآية الكريمة تحذير لهذه الأمة على العموم ولعلمائها على الخصوص من انتهاج سبيل المجرمين من أحبار اليهود الذين يحرفون الكتاب بأيديهم ثم يقولون للناس: هذا من عند الله، فاتضح أن هذا التوجيه من الإمام الطبري يتعلق بالعقيدة وعلم الأديان وقراءة التاريخ.

الأنموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام:٣٨.

قال الطبري متسائلًا عن سبب ذكر الطيران بالجناح، مع أن ذلك معروف بداهة، فقال:

«فإن قال قائل: فما وجهُ قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟

قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم. فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: كلمت فلانًا بفمي، ومشيت إليه برجلي، وضربته بيدي، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم، ويستعملونه في خطابهم، ومن ذلك قوله تعالى ذكره: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى)»[٤٩].

(٤٨) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ٧٧/١ .
(٤٩) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٤٩/١١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

تحليل كلام الطبري:

من يقرأ الآية يثار في ذهنه هذا السؤال الذي ذكره الطبري فيما يتعلق بفائدة ذكر الجناحين للطير، مع أن ذلك معروف بداهة في كلمة (طير) وبقراءة جواب الطبري، رحمه الله، يحسن أن أدون الفوائد التالية:

١. يحسن بالمفسر أن يجعل نفسه مكان القارئ، فالقارئ يُثار في ذهنه بعض الأسئلة التي لا مناص عنها، كهذا الإشكال الذي نص عليه الطبري، فعليه ألا يتجاوزه.

٢ـــ أثار الطبري السؤال وأجاب عنه بعدما بيَّن المعنى، وهذا تقدم مرارًا أن الإجابة على الأسئلة الذهنية ينبغي أن تكون بعد إيضاح المعنى، إذ إن بيان المعنى يزيل كثيرًا من الأسئلة، فلا يبقى إلا ما يحتاج إلى بيان ورفع.

٣ـــ قدَّم الطبري لجوابه بمقدمة، وهي أن القرآن نزل بلسان القوم وبلغتهم، وهذا يدل على أن مراعاة أساليب لغة العرب ينبغي أن تكون حاضرة في ذهن المفسر.

٤. بين الطبري أن سبب ذكر الجناحين للطائر من باب التأكيد والمبالغة، وهذا من أساليب العرب، وضرب لذلك عدة أمثلة.

٥ـــ ذكر الطبري سبب ذكر الجناحين للطائر ولم يتعرض لذكر (الأرض) مع قوله: (ولا دابة) ومعلوم أن كل ماشٍ على الأرض دابة[٥٠]، ولعل السبب أن السؤال يثار في الذهن على ذكر الجناحين أكثر من الدابة؛ فمن الدواب ما لا يدب على الأرض وإنما يزحف زحفًا.

ولننظر الآن في كلام بعض المفسرين ممن تعرضوا لهذا السؤال.

---

(٥٠) انظر : لسان العرب ٣٦٩/١ ، مادة دَبَب .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

فالسمعاني[٥١] والبغوي[٥٢] وابن عطية[٥٣] وابن الجوزي[٥٤] والرازي[٥٥] والقرطبي[٥٦] والبيضاوي[٥٧] والخازن[٥٨] وأبو السعود[٥٩] جميعهم وافقوا الطبري في التأكيد.

وأضاف الزمخشري فائدة تعود إلى إحاطة الله سبحانه بها، فقال: «فإن قلت: هلا قيل: وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم؟ وما معنى زيادة قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها»[٦٠].

وهناك احتمال آخر : أن يكون التخصيص بالوصف هنا تمييزاً له عن الطائر الذي له جناحان ولا يصير بهما ؛ إذ إن هذا الأخير مشمول في دواب الأرض ، فتكون الآية شملت الصنفين معاً مالا يطير بجناحيه وما يطير بهما .

والتعميم الذي ذكره الزمخشري معنى زائد على التأكيد الذي ذكره الطبري.

---

(٥١) انظر : تفسير القرآن ١٠١/٢ .
(٥٢) انظر : معالم التنزيل ١٤١/٣ .
(٥٣) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٩٠/٢ .
(٥٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير ٢٦/٢ .
(٥٥) انظر : التفسير الكبير ٥٢٤/١٢ .
(٥٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٤١٩/٦ .
(٥٧) انظر :أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٥٩/٥ .
(٥٨) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١١٠/٢ .
(٥٩) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ١٥٣/٦ .
(٦٠) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢١/٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وجمع بينهما الطاهر ابن عاشور فقال: «قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قُصد به الشمول والإحاطة، لأنّه وصف آيل إلى معنى التوكيد، والتوكيد هنا يؤكّد معنى الشمول الذي دلّت عليه (من) الزائدة في سياق النفي؛ فحصل من هذين الوصفين تقرير معنى الشمول الحاصل من نفي اسمي الجنسين»[٦١].

ويُبدع الطاهر ابن عاشور كعادته في ذكر سبب التوكيد فقال: «ونكتة التوكيد أنّ الخبر لغرابته عندهم وكونه مظنّة إنكارهم أنَّه حقيق بأن يؤكّد»[٦٢].

فنلحظ اتفاق المفسرين في هذا الأنموذج على الإجابة.

الأنموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام:٩٣.

قال الطبري متسائلًا عن سبب أمر الله للكافرين بإخراج أنفسهم في قول الله: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ مع أن الله هو الذي يخرج الأرواح من الأبدان فقال:

«فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ وَنُفُوسُ بَنِي دَمَ إِنَّمَا يُخْرِجُهَا مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَكَيْفَ خُوطِبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ وَأُمِرُوا فِي حَالِ الْمَوْتِ بِإِخْرَاجِ أَنْفُسِهِمْ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَنُو آدَمَ هُمْ يَقْبِضُونَ أَنْفُسَ أَجْسَامِهِمْ؟

---

(٦١) انظر : التحرير والتنوير ٢١٦/٧ .

(٦٢) انظر : المصدر السابق .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ بِخِلَافِ الَّذِي إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، بِأَدَاءِ مَا أَسْكَنَهَا رَبُّهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ إِلَيْهِ وَتَسْلِيمِهَا إِلَى رُسُلِهِ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا»(٦٣).

تحليل كلام الطبري:

أثار الطبري رحمه الله سؤالًا افتراضيًّا وهو: كيف يؤمر الكافرون بإخراج أرواحهم مع أن الروح لا يخرجها إلا الله؟ وهل يستطيع بنو آدم أن يقبضوا أنفسهم بأيديهم؟

وأعتقد أن هذا السؤال لا يُثار في الذهن بمجرد قراءة الآية، لبداهة العلم به ؛ فالمميت مما يؤمن به المشركون ، لكن لسعة علم الطبري، رحمه الله، فإنه يثير ما يكون ظاهرًا وما قد يكون بنوع خفي حتى تكتمل صورة التفسير للآية الكريمة، وبقراءة جواب الطبري نخلص إلى ما يلي:

١ــ أنه قد يثار في الذهن سؤالٌ في آية مبني على فهم مغلوط، وعليه فيجب معرفة معنى الآية الكريمة أولًا، فالسؤال الذي أثاره الطبري إنما هو –كما بين الطبري– مبنيٌّ على فهم مغلوط لمعنى الآية، ولهذا قال: «معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه».

٢ــــ أثار الطبري هذا التساؤل بعد بيان معنى الآية، ثم ذكر الخلاف في طريقة بسط الملائكة أيديها، هل هو بقبض الروح في سكرات الموت أم في العذاب في جهنم؟

إلا أنه ذكر الخلاف بعدما اختار القول بقبض الأرواح، وهذا يفيدنا في أن توجيه بعض ألفاظ القرآن الكريم ينبغي أن يكون بعد بيان معنى الآية.

٣. بيَّن الطبري أن معنى الآية هو بإضافة هذا الكلام للرسل المُوَكَّلِين بقبض الأرواح الكافرين بخروجها وتَسَلُّمها.

٤. بقي القول بأن بعض الأسئلة المثارة تكون على أحد القولين دون الآخر، فالآية الكريمة فيها قولان(٦٤):

---

(٦٣) انظر : جامع البيان عن آي القرآن ٩/٤١٠ .

(٦٤) انظر : المصدر السابق .

الأول: أن يقال لهم ذلك عند سكرة الموت.

الثاني: أن يقال لهم ذلك في عذاب جهنم والموت يغمرهم من كل مكان.

فعلى القول الثاني لا يُثار السؤال على الآية؛ لأن مقولة: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ ستكون تهديدًا وتشقيقًا عليهم.

وإذا تأملنا أقوال المفسرين وجدنا أن سبب خلافهم مبنيٌّ على: هل الإخراج هنا حقيقي أم تمثيلي؟ فإن كان تمثيليًّا فماذا يراد به؟

وقد اختلف المفسرون في ذلك على قولين، هما:

١. أن الإخراج حقيقي، والمراد به أمرهم بإخراج أرواحهم وقت سكرة الموت(٦٥).

٢. أن الإخراج مجازي، والمراد به الأمر بإخراج النفس من العذاب(٦٦).

وأَوْلَى القولين هو الأول، بدلالة سياق الآية، حيث ابتدأت الآية بذكر حال الظالمين حين سكرة الموت، ثم أعقبه بذكر بسط أيدي الملائكة للظالمين، ثم أتبعه بذكر هذا القول الصادر من الملائكة ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ وهو متوجَّه للظالمين حين غمرة الموت لهم، وكذلك أيضًا لا يمتنع حقيقة القول من الملائكة، فإن لحظة حضور الموت من اللحظات التي لا يزول فيها التكليف، وهي انتقال من الحياة الدنيا إلى البرزخ، فتخرج من القياس المعروف، ويجتمع على المحتضر الخوف مما أمامه والحزن على ما فاته، وينكشف له البصر فيكون حديدًا، كما قال الله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢ ومن كانت هذه حاله لم يمتنع أن تتمثل له الملائكة ويخاطبونه بكلام لا يسمعه من لم في مثل حالته.

---

(٦٥) انظر : جامع البيان عن آي القرآن ٥٣٧/١١ ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ١٦٩/٣ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٦٩/١ ، ولباب في معاني التنزيل ١٦١/٢ .

(٦٦) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٢٦/٤ ، والبحر المحيط ١٨٤/٤ . والتحرير والتنوير ٣٧٨/٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وأقوى ما يستمسك به أصحاب القول الثاني هو قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ وهي قرينة قوية على إرادة عذاب جهنم، لولا أنها محاطة بثلاث قرائن داخلية ورابعة خارجية.

فأما القرائن الداخلية فهي:

أ ـ ذكر غمرات الموت، وذلك لأن الموت يكون تدّرُجًا، وهي سكرات الموت التي لم يسلم منها حتى نبينا صلى الله عليه وسلم[٦٧]، ولا تتعلق بتقوى ولا فجور، فمن كان تقيًّا ازداد رفعة بتلك السكرات، وإلا فإنها تكون كفارة له[٦٨]. وهذا أحد أوجه الفرق بين السكرات التي لا يسلم منها أحد والغمرة التي فيها عذاب للظالمين فوق ألم السكرة، مع اجتماع السكرة والغمرة في كونها تغمر صاحبها، فيكون كحال الغريق حال غرقه تغطي عقله أشبه بسكرة الخمر لكنها تغطيه ذهولًا وهلعًا.

ب ـ والقرينة الثانية: بسط الملائكة لأيديها، وكلمة بسط تعني الْـمَدَّ[٦٩] وأُسندت للملائكة التي تقبض وتبسط وتأخذ وتقاتل وتفعل ما شاء ربها، والبسط في الآية يحتمل أمرين:

- مد الملائكة أيديهم لإخراج أرواح الظالمين.

- بسط الملائكة أيديهم بالضرب؛ لأن أرواح الظالمين تتمنع عن الخروج، وقد دلت عليه آيات أخرى سيأتي ذكرها قريبًا.

ج ـ والقرينة الثالثة: ذكر قول ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ بعد بسط الملائكة أيديها مما يشعر بكون القول لها.

وأما القرينة الخارجية:

---

(٦٧) فقد صح عنه قوله : «لا إله إلا الله! إن للموت سكرات» أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٩) .

(٦٨) انظر : فتح الباري ٣٦٥/١١ .

(٦٩) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢٤٧/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

فقد دلَّ القرآن في مواضع أخرى على كون الملائكة تحضر عند قبض أرواح الظالمين يضربون وجوههم وأدبارهم كما قال الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ الأنفال: ٥٠ وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ محمد: ٢٧.

فإن أُريد بالعذاب ما يقارن الموت من سكرته وألم ضغطته فيؤول للقول الأول، وإن أُريد به عذاب جهنم فالكافرون يعذَّبون بالعذاب النفسي فيقال لهم في جهنم: أخرجوا أنفسكم، تعذيبًا وتكبيتًا لهم، إلا أن ذلك لا يؤخذ من هذه الآية.

ثم إن معنى قوله: ﴿أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: يوم قبض أرواحكم هو اليوم الذي تجازون فيه بالعذاب والإهانة[٧٠]، وذلك لأن عذابهم يبتدئ من قبض أرواحهم وفي حال البرزخ وما بعد ذلك، وإطلاق العذاب على أول وقته مع طول مدته جارٍ في اللغة.

فاتضح أنه على القول الأول يَرِدُ السؤال الذي افترضه الإمام الطبري، ويكون الجواب المسدَّد ما قرره، رحمه الله، من أن ذلك القول منسوب إلى الملائكة المأمورة بقبض الأرواح.

وعلى القول الثاني لا يَرِدُ السؤال؛ إذ لا يراد به حقيقية الإخراج، وإنما المراد به المشقة والتعذيب النفسي والإهانة، والله أعلم.

الأنموذج الخامس:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يوسف:٣٧.

أثار الطبري سؤالًا حول هذه الآية إذ إنها جاءت بعدما طلب الفتيان تعبير منامها، مع أن هذه الآية ليست جوابًا على ذلك، فما وجه هذه الآية الكريمة، فقال:

---

(٧٠) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ٥٤٠/١١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

«فإن قال قائل: ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف؟ وأين جوابه الفَتَيَيْنِ عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام؟

قيل له: إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما لما علم من مكروه ذلك على أحدهما، فأعرض عن ذكره وأخذ في غيره، ليعرضا عن مسألته الجوابَ عما سألاه من ذلك، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ يوسف: ٣٦ قال: فكره العبارة لهما، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علمًا. وكان الملك إذا أراد قتل إنسان، صنع له طعامًا معلومًا، فأرسل به إليه، فقال يوسف: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ﴾ يوسف: ٣٧ إلى قوله: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ فلم يدَعَاه، فعدل بهما وكره العبارة لهما. فلم يدعاه حتى يعبر لهما، فعدل بهما وقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فلم يدعاه حتى عبر لهما، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ قالا: ما رأينا شيئًا، إنما كنا نلعب! قال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ .

قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج، فقوله: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ﴾ في اليقظة لا في النوم، وإنما أعلمهما على هذا القول أنَّ عنده علم ما يؤول إليه أمر الطعام الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره، لأنه قد علم النوعَ الذي إذا أتاهما كان علامةً لقتل من أتاه ذلك منهما، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك»[٧١].

(٧١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٢/١٦ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

تحليل كلام الطبري:

جواب الطبري على هذا التساؤل يفيدنا في تسجيل عدة أمور هامة في باب توجيه الأسئلة على الآيات القرآنية:

١. الطبري رحمه الله اختار أحد القولين في قوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ وهو أن الطعام في المنام.

٢ـــ أجاب الطبري باختيار قول ابن جريج، بينما هو يرجح القول الثاني في أن الطعام هو حال اليقظة، وهذا يدل على أنه في توجيه الألفاظ القرآنية يستعان بما يرفع ما ظاهره الإشكال ولو من خلال الأقوال الأخرى.

٣ـــ ما ذكره ابن جريج يحتمل أن يكون اعتمد فيه على الخبر، على عادة مفسري السلف في عدم النسبة للقائل، ويحتمل أن يكون اعتماده فيه على الاجتهاد، وهو الأظهر؛ لأنه فَرَّقَ القول على حسب الآيات مما يشابه أسلوب التفسير.

٤. يرى الطبري أن سبب إعراض يوسف، عليه السلام، عن التعبير مباشرة هو مراعاة شعور الرائِيَيْنِ؛ إذ فيه خبر موت أحدهما.

٥. اختار الطبري هذا التوجيه لكونه مدعومًا بالأثر.

وبالنظر لأقوال المفسرين نجد أنها لم تخرج عن قولين:

١. أن المراد بالطعام هو الذي حال النوم. وقال به أكثر المفسرين[٧٢] ورجحه ابن تيمية وقال: هو الصواب[٧٣].

٢. أن المراد بالطعام هو الذي حال اليقظة[٧٤].

ولست في حال ذكر أدلة القولين والترجيح؛ ولهذا سأنتقل إلى إجابة المفسرين عن الإشكال الذي ذكره الطبري وأقارنه بما قرره الطبري.

---

(٧٢) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣٢٦/٣ ، ومعالم التنزيل في معالم القرآن ٢٤١/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٣٣/٤ .
(٧٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٥/١٧.
(٧٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ٣٨٧/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

أما الزمخشري فيرى أن يوسف، عليه السلام، لم يعبر لهما مباشرة لأنه استغل الفرصة لدعوتهما لتوحيد الله، فقال: «لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص — اتخذ فرصة – ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما، وجعل ذلك تخلصًا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله، وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك»[٧٥].

وواضح من عرض الزمخشري أنه مجرد احتمال غايته أن نجعله في دائرة المحتملات، مع أن السؤال المتبادر للذهن:

- لِـــم أخر يوسف عليه السلام دعوتهما إلى التوحيد؟ مع أن وصفهما له بالإحسان إليهما يدل على وجود أكثر من فرصة للدعوة.

وأفضل من أطال في تلمس إجابة للسؤال الذي أثاره الطبري هو الرازي، حيث حاول أن يستقصي أكثر من مبرر لتأخير يوسف، عليه السلام، تعبير الرؤيا، فقال:

«اعْلَمْ أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ بِجَوَابٍ لِمَا سألا عنه، فلا بد هاهنا مِنْ بَيَانِ الْوَجْهِ الَّذِي لِأَجْلِهِ عَدَلَ عَنْ ذِكْرِ الْجَوَابِ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ، وَالْعُلَمَاءُ ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ جَوَابُ أَحَدِ السَّائِلِينَ أَنَّهُ يُصْلَبُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَتَى سَمِعَ ذَلِكَ عَظُمَ حُزْنُهُ وَتَشْتَدُّ نَفْرَتُهُ عَنْ سَمَاعِ هَذَا الْكَلَامِ، فَرَأَى أَنَّ الصَّلَاحَ أَنْ يُقَدِّمَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يُؤَثِّرُ مَعَهُ بِعِلْمِهِ وَكَلَامِهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بِهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ خَرَجَ جَوَابُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ بِسَبَبِ تُهْمَةٍ وَعَدَاوَةٍ.

الثَّانِي: لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ دَرَجَتَهُ فِي الْعِلْمِ أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِمَّا اعْتَقَدُوا فِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ عِلْمَ التَّعْبِيرِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَبْنِيٌّ عَلَى الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ، فَبَيَّنَ لَهُمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغُيُوبِ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ وَالْيَقِينِ مَعَ عَجْزِ

(٧٥) انظر : الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤٦٨/٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

كُلِّ الْخَلْقِ عَنْهُ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَبِأَنْ يَكُونَ فَائِقًا عَلَى كُلِّ النَّاسِ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ كَانَ أَوْلَى، فَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْمُقَدِّمَةِ تَقْرِيرَ كَوْنِهِ فَائِقًا فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ وَاصِلًا فِيهِ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ غَيْرُهُ.

وَالثَّالِثُ: قَالَ السُّدِّيُّ: لَا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ في النوم بين ذلك أَنَّ عِلْمَهُ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا لَيْسَ بِمَقْصُورٍ عَلَى شَيْءٍ دُونَ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ.

الرَّابِعُ: لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمَا اعْتَقَدَا فِيهِ وَقَبِلَا قَوْلَهُ، فَأَوْرَدَ عَلَيْهِمَا مَا دَلَّ عَلَى كَوْنِهِ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّه تَعَالَى، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتِ الدِّينِ أَوْلَى مِنَ الِاشْتِغَالِ بِمُهِمَّاتِ الدُّنْيَا.

وَالْخَامِسُ: لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ سَيُصْلَبُ اجْتَهَدَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يَمُوتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَا يَسْتَوْجِبَ العقاب الشديد ولِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

وَالسَّادِسُ: قَوْلُهُ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ مَحْمُولٌ عَلَى الْيَقَظَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمَا أَيُّ طَعَامٍ هُوَ، وَأَيُّ لَوْنٍ هُوَ، وَكَمْ هُوَ، وَكَيْفَ يَكُونُ عَاقِبَتُهُ! أَيْ إِذَا أَكَلَهُ الْإِنْسَانُ فَهُوَ يُفِيدُ الصِّحَّةَ أَوِ السَّقَمَ.

وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، قِيلَ: كَانَ الْمَلِكُ إِذَا أَرَادَ قَتْلَ إِنْسَانٍ صَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ يُوسُفُ: لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمَا أَنَّ فِيهِ سُمًّا أَمْ لَا! هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ وَحَاصِلُهُ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهُ ادَّعَى الْإِخْبَارَ عَنِ الْغَيْبِ، وَهُوَ يجري مجرى قول عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩.

فَالْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ الْأُوَلُ لِتَقْرِيرِ كَوْنِهِ فَائِقًا فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ، وَالْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ الْأُخَرُ لِتَقْرِيرِ كَوْنِهِ نَبِيًّا صَادِقًا مِنْ عِنْدِ اللَّه تَعَالَى»[٧٦].

(٧٦) انظر : التفسير الكبير ٤٥٦/١٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وكل ما ذكره الرازي محتمل في سبب تأخيره، إلا أن الرازي لم يستكشف سبب ذكر الطعام دون غيره، ومن عرج على ذلك من المفسرين أرجعوا سبب ذلك إلى أحد أمرين:

١. لأن الطعام ذُكر في الرؤيا. وعليه أكثر المفسرين.

٢. لأن الطعام جعلوه توقيتًا لهم؛ إذ السجناء لا يرون الشمس ولا يعرفون الوقت.

قال الطاهر ابن عاشور: «وجعل لذلك وقتًا معلومًا لهم، وهو وقت إحضار طعام المساجين؛ إذ ليس لهم في السجن حوادث يوقتون بها، ولأن انطباق الأبواب وإحاطة الجدران يحول بينهم وبين رؤية الشمس، فليس لهم إلا حوادث أحوالهم من طعام أو نوم أو هبوب منه، ويظهر أن أمد إتيان الطعام حينئذٍ لم يكن بعيدًا كما دل عليه قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ من تعجيله لهما تأويل رؤياهما وأنه لا يتريث في ذلك، ووصف الطعام بجملة ﴿تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ تصريح بالضبط بأنه طعام معلوم الوقت لا ترقب طعام يهدى لهما بحيث لا ينضبط حصوله»[٧٧].

ولاستكشاف سبب ذكر الطعام أود أن أُقرر أمرين:

أ. أن يوسف عليه السلام ما ذَكر الطعام إلا وله تعلق بإبهارهم؛ فهو أقرب ما يكون لباب المعجزة.

ب ـ أن معجزات الأنبياء عادة تحاكي ما يهتم به المجتمع وما تميز به دون ما سواه، كما حصل لعيسى عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن تأمل قول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩. وقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ٥٠ وقبله قول يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ وقبلهما بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام فقد طلبوا طعامًا فقالوا: أخرج ﴿لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ

(٧٧) انظر : التحرير والتنوير ٢٧١/١٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

﴿ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة: ٦١ أدرك أن القوم كانوا أهل تعلق وشغف بالطعام وما يتعلق به، فمن أراد أن يكسب قلوبهم ويبهر عقولهم فليكن ذا فراسة فيما يريدونه من الطعام وألوانه وشؤونه، ويؤتي لله أنبياءه من علم ذلك ما يكون لهم معجزة ظاهرة.

ولما كانت هذه الأمة المباركة معجزتها الوحي كان المتفرّس الملهَم منهم يوافق الوحي فيما نزل، فكان أبو بكر كثيرًا ما يوافق كلام النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وافق الوحي أكثر من مرة، وسعد بن معاذ وافق حكم الله في اليهود، وهذا من فروقات الأمم التي محل دراستها كتب التاريخ على ضوء ما ورد في القرآن من شأن الأمم.

الأنموذج السادس:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ ص:٣٥.

قال الطبري رحمه الله متسائلًا عن سبب قول سليمان عليه السلام هذا الطلب:

«إِنَّ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ رَغْبَةِ سُلَيْمَانَ إِلَى رَبِّهِ فِي الْمُلْكِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا يَرْغَبُ فِي الْمُلْكِ أَهْلُ الدُّنْيَا الْمُؤْثِرُونَ لَهَا عَلَى الْآخِرَةِ؟ أَمْ مَا وَجْهُ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ إِذْ سَأَلَهُ ذَلِكَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَا كَانَ يَضُرُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ بَعْدَهُ يُؤْتَى مِثْلَ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ؟ أَكَانَ بِهِ بُخْلٌ بِذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ مُلْكِهِ يُعْطَى ذَلِكَ مَنْ يُعْطَاهُ، أَمْ حَسَدٌ لِلنَّاسِ، كَمَا ذُكِرَ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ قَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿ وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ فَقَالَ: إِنْ كَانَ لَحَسُودًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ.

قِيلَ: أَمَّا رَغْبَتُهُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا يَرْغَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ، فَلَمْ تَكُنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِهِ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ إِرَادَةً مِنْهُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ مِنَ اللَّهِ فِي إِجَابَتِهِ فِيمَا رَغِبَ إِلَيْهِ فِيهِ، وَقَبُولَهُ تَوْبَتَهُ، وَإِجَابَتَهُ دُعَاءَهُ.

وَأَمَّا مَسْأَلَتُهُ رَبَّهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّا قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ: هَبْ لِي مُلْكًا لَا أُسْلَبُهُ كَمَا سُلِبْتُهُ قَبْلُ! وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ: هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَسْلُبَنِيهِ! وَقَدْ يَتَّجِهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

بِمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ سِوَايَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِي، فَيَكُونُ حُجَّةً وَعِلْمًا لِي عَلَى نُبُوَّتِي وَأَنِّي رَسُولُكَ إِلَيْهِمْ مَبْعُوثٌ! إِذْ كَانَتِ الرُّسُلُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَعْلَامٍ تُفَارِقُ بِهَا سَائِرَ النَّاسِ سِوَاهُمْ. وَيَتَّجِهُ أَيْضًا لِأَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَهَبْ لِي مُلْكًا تَخُصُّنِي بِهِ، لَا تُعْطِيَهُ أَحَدًا غَيْرِي تَشْرِيفًا مِنْكَ لِي بِذَلِكَ وَتَكْرِمَةً، لَتُبَيِّنَ مَنْزِلَتِي مِنْكَ بِهِ مِنْ مَنَازِلِ مَنْ سِوَايَ! وَلَيْسَ فِي وَجْهٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ مِمَّا ظَنَّهُ الْحَجَّاجُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ شَيْءٌ»[٧٨].

تحليل كلام الطبري:

أثار الإمام الطبري هذا السؤال الذي يعرض في ذهن كل قارئ لقصة سليمان، عليه السلام، إلا أن المؤمن ليقينه بكمال مقام الأنبياء يعلم أن ذلك لم يكن لحبٍ في الدنيا وتعلق بها؛ إذ الله أعلم حيث يجعل رسالته، فما وجه هذا الطلب الغريب على مقام الأنبياء؟

وعلى هذا، فالسؤال الذي ذكره الطبري في محله.

وبالنظر لكلام الطبري فإننا نخرج بالنتائج التالية:

١. أنه لا حرج في طرح الأسئلة التي تمر بالذهن عن قصص الأنبياء؛ إذ لا يعد ذلك تنقصًا في حقهم، عليهم السلام، مادام أن الشخص يسأل ليدرك مكمن علو الأنبياء، فيزداد محبة لهم وتعظيمًا لإيمانهم الكامل بربهم، أو ليعرف عظمة القرآن وإعجازه فيزداد تعلقًا به.

٢. في الأسئلة التي تثار على قصص الأنبياء يجب استحضار القضية الكلية المقررة في ذهن كل مؤمن، وهي كمال الأنبياء وبُعد تعلقهم بالدنيا الفانية.

ولهذا قال الطبري: «وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا» وقال: «أَمَّا رَغْبَتُهُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا يَرْغَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ، فَلَمْ تَكُنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِهِ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا» إذ الأنبياء زُهادٌ في الدنيا الفانية وبهم يقتدي المؤمن.

(٧٨) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ١٠٣/٢٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

٣ـــ يجب استحضار مقام العصمة للأنبياء أيضًا؛ إذ هم معصومون عن الذنوب الكبيرة، فإن تَصور العقل وقوع ذلك منهم فالعقل أيضًـــا يدل على أن الله لا يقره الله عليه ويوفقه للتوبة، فيكون مقامه بعد التوبة أرفع منه قبلها، ولهذا قال الطبري رحمه الله عن الحسد والبخل: «فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء».

وبهذه القواعد الراسخة الثابتة يستطيع المسلم أن يناقش ما يطرأ في ذهنه من الخواطر أثناء قراءته لقصص الأنبياء الكرام عليهم السلام.

٤. أثار الطبري على هذه الآية سؤالين:

- الأول: ما وجه طلب سليمان عليه السلام شيئًا دنيويًّا، وهو الْمُلك؟
- والثاني: ما وجه طلب سليمان، عليه السلام، ألا يعطي الله ما أعطاه من ملك لأحدٍ من بعده من البشر؟

٥ـ أجاب الطبري عن السؤال الأول المتعلق بسبب طلب سليمان شيئًا دنيويًّا، وهو الْمُلك، بأن هذا الطلب يتحقق فيه ثلاثة أمور هي:

- يريد سليمان من ورائه أن يعلم منزلته عن ربه في إجابته وتحقيق مطلبه، فإن العبد يهمه أن يعلم منزلة حبه عن سيده، وأن يقع منه الموقع الحسن، وعادة ما يكون ذلك عن طريق طلبٍ عزيز المكان، وهذا ما فعله سليمان عليه السلام.
- يريد سليمان أن يعلم منزلته بعد توبته من قضية الحكم بين الأخوين، والتائب النادم يرغب أن يعلم مقامه عند محبوبه بعد خطئه، هل نقص حبه أم زاد؟
- يريد سليمان عليه السلام أن يرى استجابة الله له في دعائه، وبذلك يزداد يقينا وتعظيمًا ومحبة لربه.

وهناك وجه يتضمنه كلام الطبري، وإن لم ينص عليه، وهو أن يقال أن طلبه للملك لأجل أن يقوم بحق الله وشعائره حق القيام، ولم يشر إليه الطبري لأن المقام توضيح لما يُظن من تعارض بين الزهد والملك، وإلا فإن سليمان عليه السلام أهلٌ للملك.

٦. وأجاب الطبري عن السؤال الثاني المتعلق بسبب طلبه ملكًا خاصًّا به لا ينبغي لأحد من بعده من البشر بجوابين:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

- أحدهما: أن معنى قول سليمان عليه السلام: ﴿لَا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ أي: لا أُسْلَبُه، فسليمان، عليه السلام، يريد ملكًا لا يسلبه منه أحد من البشر، وذلك ليكون حجة لسليمان، عليه السلام، في دعوته من يأمره الله بدعوته للإسلام، فرجع طلب الملك لتسخيره في دعوته وتقويه حجته أمام المعارضين؛ إذ إن من يريد الدعوة لله فعليه أن يتميز بأمر يكون مؤيدًا له، فكان هذا مقصد سليمان عليه السلام.
- والثاني: أن سليمان، عليه السلام، طلب ملكًا خاصًّا به ليظهر للناس تميزه عليهم وشرفه فوقهم مما يجعل الناس تتبعه، فإن الناس مفطورون على اتباع من كانت صفاته تؤهله للاتباع.

٧ـــ وعلى كلا الوجهين يظهر كمال سليمان، عليه السلام، وعبوديته الكاملة لربه في هذا السؤال، فسؤال سليمان هو للكمال أليق وبه أحق، والنقص بعيد عنه عليه السلام.

٨. ذكر الطبري قول الحجاج بن يوسف بقوله: «كما ذُكر عن الحجاج» ولم يسندها الطبري، ولَمَزَها بصيغة التمريض.

وقد أوردها ابن كثير رحمه الله فقال: «وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُبَشِّرٍ، عَنْ عَبَّاسٍ الدُّورِيِّ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، ثَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ، سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ عَلَى مِنْبَرِ وَاسِطٍ يَقُولُ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ لَحَسُودًا»[٧٩] وقد علق عليها ابن كثير بقوله: «وَهَذِهِ جَرَاءَةٌ عَظِيمَةٌ تُفْضِي بِهِ إِلَى الْكُفْرِ، قَبَّحَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ وَأَبْعَدَهُ وَأَقْصَاهُ»[٨٠].

وفي هذا الأثر الصلت بن دينار الأزدي، قال عنه الإمام أحمد: «ترك الناس حديثه»[٨١] وقال ابن حجر: «متروك، ناصبي»[٨٢].

(٧٩) انظر : البداية والنهاية ٥٣٤/١٢ .
(٨٠) المصدر السابق .
(٨١) انظر : العلل ومعرفة الرجال ٣١٠/٢ .
(٨٢) انظر : تقريب التهذيب ، ص٢٧٧ .

والطبري لم يعلق كما علق ابن كثير على كلمة الحجاج، وكلمة الحجاج قبيحة لكنها لا تحمل على ظاهرها؛ إذ هو أمير متجبرٌ، يَنقُد الأفعال بفهم أهل الجبابرة الأمراء الذين كثيرًا ما يخرج إعجابهم بلغة الذم، والله أعلم.

ولننظر الآن لكلام المفسرين ونقارنه بكلام الطبري رحمهم الله جميعًا.

لم يخرج الثعلبي والسمعاني والبغوي[٨٣] عما ذكره الطبري من أوجه، إلا أن المفسر الفذَّ الزمخشري قرَّر بأن سليمان، عليه السلام، نشأ في بيت مُلك ونبوة، وقد ورث الملك عن أبيه فوقع طلبه، عليه السلام، على حسب ما ألفه واعتاد عليه، وأراد أن يكون زائدًا عن العادة ليكون أثبت لنبوته ودعوته[٨٤]. وهذا تقرير بالغ وحجة بديعة يوافقه عليها فقه الحياة.

والقرطبي رحمه الله أثار سؤال الملك، ثم أجاب عليه فقال: «فإن قيل: كَيْفَ أَقْدَمَ سُلَيْمَانُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا مَعَ ذَمِّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبُغْضِهِ لَهَا، وَحَقَارَتِهَا لَدَيْهِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيَاسَةِ مُلْكِهِ، وَتَرْتِيبِ مَنَازِلِ خَلْقِهِ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى رُسُومِهِ، وَتَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ، وَظُهُورِ عِبَادَتِهِ، وَلُزُومِ طَاعَتِهِ، وَنُظُمِ قَانُونِ الْحُكْمِ النَّافِذِ عَلَيْهِمْ مِنْه»[٨٥].

وهذا الجواب الذي قال عنه القرطبي بأنه الأصح[٨٦] هو معروف بالبداهة، فلو لم يرَ سليمان من نفسه القدرة فلن يسأل ذلك، ولهذا فإن جواب الزمخشري أسد من جواب القرطبي.

(٨٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٠٩/٨ ، وتفسير القرآن ٤٤٤/٤ ، ومعالم التنزيل ٩٤/٧ .
(٨٤) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٩٦/٤ .
(٨٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/١٥ .
(٨٦) المصدر السابق .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وأما سؤال سليمان، عليه السلام، بمنع الملك لأحد من بعده، فللقرطبي فهم آخر حيث قال: «وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أَيْ: أَنْ يَسْأَلَهُ. فَكَأَنَّهُ سَأَلَ مَنْعَ السُّؤَالِ بَعْدَهُ، حَتَّى لَا يَتَعَلَّقَ بِهِ أَمَلُ أَحَدٍ، وَلَمْ يَسْأَلْ مَنْعَ الْإِجَابَةِ»[٨٧] والتكلف ظاهر في هذا الجواب.

وأما الطاهر ابن عاشور فلم يخرج عمن سبقه من المفسرين إلا أنه كعادته في لفتاته البديعة حيث علق على قول سليمان عليه السلام: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ بأن هذا من تأدب سليمان عليه السلام بين مقام ربه، فلم يقل: لا تعطه أحدًا بعدي[٨٨]. مع أن مؤدى العبارتين واحدٌ لكنه الأدب الرفيع.

الأنموذج السابع:

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الأحزاب: ٢٤.

تساءل الإمام الطبري عن سبب تقييد عذاب المنافق بالمشيئة، فقال:

«إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِن شَاءَ﴾ وَالْمُنَافِقُ كَافِرٌ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَلَّا يَشَاءَ تَعْذِيبَ الْمُنَافِقِ فَيُقَالُ: وَيُعَذِّبُهُ إِنْ شَاءَ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي تَوَهَّمْتَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ: وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ بِأَلَّا يُوَفِّقَهُمْ لِلتَّوْبَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِنْ شَاءَ، فَيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ الْعَذَابَ، فَالِاسْتِثْنَاءُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّوْفِيقِ لَا مِنَ الْعَذَابِ إِنْ مَاتُوا عَلَى نِفَاقِهِمْ»[٨٩].

---

(٨٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/١٥ .

(٨٨) انظر : التحرير والتنوير ٢٦٢/٢٣ .

(٨٩) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٨/١٩ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

تحليل كلام الطبري:

سؤال الطبري رحمه الله هو مبنيٌّ على قاعدة متفق عليها عند أهل الإسلام وهي: عذاب الله للمنافق النفاق الأكبر، وهذه العقيدة متقررة في كتاب الله في أكثر من آية، ومنها:

- ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾التوبة: ٨٠ .
- ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ الفتح: ٦ .
- ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ النساء: ١٣٨ .
- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ النساء: ١٤٥ .
- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ التوبة: ٦٨ .

وقررها أئمة أهل الإسلام في معتقداتهم[٩٠].

وبناءً على هذا المعتقد أثار الطبري هذا السؤال المتعلق بتعليق عذاب المنافقين على المشيئة.

وبتأمل جواب الطبري نستنتج الأمور التالية:

١ـــــ بيَّن الطبري أن هذا السؤال مبنيٌّ على فهم مغلوط للآية؛ إذ إنه يعتقد أن المعنى: ويعذب المنافقين إن شاء عذابهم، وإن شاء ألا يعذبهم فلا يعذبهم.

٢. بيَّن الطبري بأن للمنافق حالتين:

(٩٠) انظر : شرح الطحاوية ، ص٢١٤ ، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول ١٠١٩/٣ ، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، ص٢٣٩ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

إحداهما: أن يتوب الله عليه.

والأخرى: ألا يوفقه الله للتوبة فيموت منافقًا، وبالتالي يستوجب العذاب.

٣ـ جعل الطبري استثناء المشيئة راجعًا للتوفيق وليس للعذاب، فيكون المعنى: ويعذب المنافقين إن شاء عدم توفيقهم للتوبة أو يشاء توبتهم فيتوب عليهم.

وللننظر الآن في أقوال المفسرين ونقارنه بكلام الطبري رحمه الله.

أما الزمخشري فقال: «ويعذبهم إِنْ شاءَ إذا لم يتوبوا أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إذا تابوا»[٩١].

فنلحظ أن الزمخشري لم يُشِر إلى توفيق الله لهم بالتوبة، وإنما أسند الأمر إلى توبتهم هم مباشرة فقال: «إذا لم يتوبوا» وظاهر عبارته تحتمل وجهًا سليمًا، إلا أن هناك احتمالًا آخر يوافق عقيدته الاعتزالية، وهو نفي مشيئة الله، فكأن الآية عند الزمخشري: ويعذب المنافقين إذا لم يتوبوا باختيارهم ومشيئتهم دون مشيئة الله.

وأما الرازي فقال: «ويعذب المنافقين الذين كذبوا واخلفوا، وقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ ذلك فيمنعهم من الإيمان أو يتوب عليهم إن أراد»[٩٢].

وهو بذلك يخالف الزمخشري حيث أسند عدم الإيمان أو التوبة إلى الله ولهذا أتى باسم الإشارة المؤكد للمضمون، وسبب ذلك هو أن العقيدة الأشعرية في باب القدر أقرب إلى الجبر[٩٣] فيفسرون التوفيق بأنه خلقٌ للقدرة على الطاعة، والخذلان عدم خلقها!

(٩١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٣٣/٣ .
(٩٢) انظر : التفسير الكبير ١٦٤/٢٥ .
(٩٣) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٩٠/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

والملاحظ تفرد الطبري، رحمه الله، بإثارة السؤال عند هذه الآية وتفصيل الجواب عليه، ويحسن في نهاية الكلام على هذا الأنموذج أن أختمه ببيان مسائل تتعلق بالمشيئة في هذه الآية الكريمة:

١ـــ ذكر المشيئة في الآية الكريمة يدل على قدرة الله وملكه وتصرفه فيما يملك، وهذا راجع إلى كمال ربوبيته على خلقه في عذابه ورحمته لهم.

٢. في تعليق الأمر بالمشيئة فتحٌ لباب التوبة للمنافقين.

٣. في تعليق العذاب بالمشيئة وترك التعليق حال التوبة دليل على أن رحمة الله تسبق غضبه، ورحمته وسعت كل شيء.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وبعد:

فقد عرجت في هذا البحث المختصر على بعض ما أثاره إمام المفسرين الإمام الطبري، رحمه الله، من أسئلة طرأت في ذهنه تجاه الآيات القرآنية مما يُستشكل سبب وروده، فأحياناً يذكر سؤالاً عن ترتيب آية بين الآيات ، كما أنه يثير سؤالاً عن سبب ذكر لفظةٍ في الآية الكريمة ، وقد يوافقه أغلب المفسرين على هذا السؤال كما في قوله : (إني جاعل في الأرض خليفة) ، ويثير أحياناً الطبري أسئلة على قصص الأنبياء من خلال إثارة سؤالٍ على كلمات الأنبياء .

والطبري يجيب عن السؤال المذكور ثم يذكر دليله في الجواب ، وتتنوع الأدلة ما بين مراعاة لحال المخاطبين ، وأحياناً بحديث مرفوع ويجيب أيضاً بجواب عقلي ، وقد يبين أن الطبري أن السؤال مبنيٌ على فهم مغلوط .

وتبين في البحث موقف المفسرين من أسئلة الطبري فكثير منها يوافقونه على إثارة السؤال ويزيدون عليه في الجواب ، وكان من أكثرهم إضافة الطاهر ابن عاشور .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

وذكرت لذلك عدة نماذج منها:

- ما سبب ذكر الملائكة عن بني آدم أنهم يفسدون في الأرض؟ وكيف عرفوا ذلك وآدم لم يخلق بعد أو في بدايات خلقه؟
- وما سر ذكر اليد في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟ وهل تكون الكتابة إلا باليد؟
- وكيف يؤمر الإنسان بإخراج نفسه في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾؟
- ولِم طلب سليمان، عليه السلام، مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده؟
- وما وجه تقييد عذاب المنافق بالمشيئة في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾؟

وقد أفاد الطبري في إجاباته واستند في بعضها لأسلوب العرب في لغتهم، وفي بعضها استند للأثر واجتهد في بعضها.

وظهر لنا أن المفسر أثناء تناوله لآيات القرآن عليه ألا يهمل ما ينقدح في ذهنه؛ وهذا من أمانة المفسرين في نقلهم ما يرد من أسئلة ، كما أنه من حفظ الله لدينه وكتابه ، كما تبين لنا عمق الطبري في توجيهه لما يشكل ظاهره من خلال تنويعه في أساليب الجواب.

ومن التوصيات التي أُوصي بها: بحث توجيهات بقية المفسرين لما أشكل ظاهره عليهم من ورود الألفاظ القرآنية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ – ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

"توجيه الطبري للمشكل الذهني الوارد على الآيات القرآنية وموقف المفسرين منه"

- Tabari directing mind to the questions contained on the Quranic verses

- Ageel salem alshammri

- Assistant Professor of the Quran and its Sciences University majmaah .**In the name of Allah most Gracious most Merciful**

Praise be to God, prayer and peace be upon the Messenger of Allah and after:

God availed all reasons to save the Holy Quran, and of these reasons that He facilitated the existence of dedicated scholars to express the meaning and facilitate the contemplation of its verses. In the forefront of those Imam interpreters, Imam al-Tabari (May God have mercy on him), and due to his scientific inventiveness, he often raises questions about the reasons for the occurrence of some Quranic utterances.

The objectives of this research can be summarized in the mental questions that Imam al-Tabari directed towards the Quranic verses and utterances that have been considered by the Imam's mindset.

The researcher used the comparative analytical method to analyze the Imam's discourse and then made a comparison with other interpreters to know their attitudes towards such mental queries.

The findings that the researcher has come up with are that these mental questions are of those things that were hidden in the Holy Quran in reference to the contemplation. He also realized the deep answers Imam provided in this field.

To conclude, I would recommend studying the topics of mental questions that interpreters consider in the verses of the Holy Quran.

Blessings and peace be upon our Prophet Muhammad.

***Keywords*: direction, questions, mental**

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

فهرس المراجع والمصادر

- الأحاديْثُ المشْكِلَةُ الواردةُ في تفسير القرآنِ الكريم (عَرْضٌ وَدِراسَةٌ) د. أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ) الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عوامة
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م،
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـــاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـــ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشـر: دار الكتب المصـرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـــ) تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشـــيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشـــر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار العربي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- سـير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـــ) تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- شـــرح العقيدة الطحاوية، صـــدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصـــالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـــ) الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيباني (المتوفى: ٢٤١هـــ) تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الناشر: دار الخاني ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠١ م.
- فتح الباري شـرح صـحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضـل العسـقلاني الشـافعي، الناشـر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- الفهرســـت، أبو الفرج محمد بن إســـحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشـــيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

- كتاب أصول الإيمان في ضوء والسنة، نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار العربي — بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية — بيروت.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ) تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم — الدمام، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٨٦٢ - ٩١٣ (ذو الحجة ١٤٣٩ هـ / سبتمبر ٢٠١٨م)

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد العرب، الطبعة ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ.
- الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.